الكتاب الجامع للفضائل

(٤٨)

فضل الصبر على موت الولد

الشيخ/ندا أبو أحمد

فضل الصبر على موت الولد

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠، ٧١)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله -تعالى-، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

فضل الصبر على موت الولد:

١- موت الولد والصبر عليه يثقل الميزان يوم القيامة:

٢- موت الولد تكفير للسيئات:

٣- موت الولد والصبر عليه سبب للاحتراز من النار والحجاب عنها:

٤- موت الولد والصبر عليه سبب لدخول الجنة:

٥- بيت في الجنة لمن صبر على موت الولد:

همسات لمن فقد الأولاد

الهمسة الأولى: يا من مات له ولد! إذا أردت أن تفوز بهذا الأجر فلابد أن يكون صبرك عند الصدمة الأولي.

الهمسة الثانية: مما يهون على المصاب بفقد الأولاد: علم الآباء بأن أبنائهم في الجنة.

الهمسة الثالثة: يا من مات ولده! أبشر فإنه سيشفع لك يوم القيامة.

فرح السلف بموت الولد

وأخيراً: عزاء لمن فقد الأعزّاء.

(كلمات تخفف عن المصاب ألم الفراق عند فقد الأولاد)

مقدمة:

مما لا شك فيه أن الأولاد هم ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا، وهم أكبادنا، كما قال أحد الشعراء:

وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض

ولذلك فإن الإسلام قد اهتم بهذه المرحلة، فكان النبي ﷺ يختصر في صلاته ولا يطيل فيها إذا سمع بكاء صبي، وكان يداعب الحسن والحسين.

فالأولاد نعمة جليلة من نعم الله علينا بهم تعمر البلدان وتتحقق سعادة الآباء والأمهات، وهم رجال الغد، وشباب المستقبل.

لكن قد يبتلي المرء بموت الولد وهو من أعظم الابتلاء وأثقل الأنكاد، وهو نارٌ تستعر في الفؤاد، وحرقة تضطرم في الأكباد.

فالابتلاء بفقد الأولاد مُصابٌ جسيم؛ لأن الإنسان يشعر أن جزءًا منه قد فُقد، وأن بعض نفسه قد أهال عليه التراب.

جاء في" العقد الفريد:٢/٤١٦" أن أعرابيًا قال في رثاء ابنه:

بُنَيّ لئن ضنَّت جُفُونٌ بمائها لقد قَرِحَت مني عليك جُفونُ

دَفَنْتُ بكفِّي بعض نَفسِي فأصبَحَتْ وللنفس منها دَافنٌ ودَفِينُ

ولهذا كان ثواب الصبر على ذلك جزيلًا، ويكون أجره في ميزان الوالدين يوم القيامة ثقيلًا.

وجاء في" فيض القدير للمناوي-رحمه الله-:١/٤٤٠":

موت الأولاد فلذ الأكباد، ومصابهم من أعظم مصاب، وفراقهم يقرع القلوب والأوصال والأعصاب، يا له من صدع لا يُشْعَب [١]، يُوهِى القوي[٢] ويُقوي الوَهْي[٣]، ويُوهِنُ العظمُ ويُعظم الوهَنْ[٤]، مُرُّ المذاق، صعبٌ لا يطاق، يضيقُ عنه النطاق شديد على الإطلاق.

لا جرم أن الله – تعالى– حثَّ فيه على الصبر الجميل [٥] ووعد عليه بالأجر الجزيل وبني له في الجنة ذاك البناء الجليل[٦] .

وإليك أيها المصاب بفقد الأولاد جملة من الأحاديث والآثار والتي جاءت في فضل الصبر على موت الأولاد، ففيها الدواء الكافي والبلسم الشافي والذي يزيل الكروب والأشجان والهموم والأحزان بإذن الرحمن وكأنه ما كان.

١- صدع لا يُشْعَب: الصدع هو الشق في الشيء الصلب كالزجاجة والحائط وغيرهما وقوله: لا يُشعب أي لا يُصلح.
٢- يُوهِى القوي: أي يضعف الإنسان القوي.
٣- يُقوي الوَهي: يعني أنه يزيد الضعف.
٤- يُعظم الوهَنْ: والوهن الضعف.
٥- الصبر الجميل: قال مجاهد في غير جزع، وقال عمرو بن قيس: الرضا بالمصيبة والتسليم، وقال حسان: لا شكوى فيه .
٦- البناء الجليل: يقصد بيت الحمد الذي جاء في الحديث.

١ - موت الولد والصبر عليه يثقل الميزان يوم القيامة:

فقد أخرج البزار والنسائي عن ثوبان ﷺ وأخرجه الإمام أحمد عن أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال:

" بخٍ بخٍ [١] – وأشار بيده لخمس– ما أثقلهُنَّ في الميزان: سبحان الله، والحمد لله، لا إله إلا الله، والله أكبر، والولد الصالح، يُتوفَّى للمرء المسلم فيحتسِبَهُ ". (صحيح الجامع: ٢٨١٧) (الصحيحة:١٢٠٤)

٢ - موت الولد تكفير للسيئات:

أخرج الإمام مالك وأبو نعيم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " ما يزالُ المؤمنُ يُصاب في ولده وحامِتِه [٢]حتى يَلقَى الله وليست عليه خطيئة " .

٣ - موت الولد والصبر عليه سبب للاحتراز من النار والحجاب عنها:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: " لا يموتُ لأحدٍ من المسلمين ثلاثةٌ من الولدِ فتَمَسُّهُ النار إلا تَحِلَّةَ القَسمِ[٣] ". – وفي رواية: " لا يموتُ لمسلم ثلاثةٌ من الولدِ فيلج النار إلا تَحِلَّةَ القَسمِ ". يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ (مريم: ٧١،٧٢)

فأفاد الحديث أن العبد المؤمن الذي يموت له ثلاثة من الولد فيحتسب ويصبر ويرضى بقضاء الله وقدره لا تمسه النار، وإن وروده على الصراط لا يؤذيه لظاها إن كان من الأبرار، وإنما يجتازها كلمح البصر أو أقرب من هذا.

– وأخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: " أن النساء قُلن: غلَبَنَا عليك الرجال يا رسول الله فاجعل لنا يومًا يا رسول الله نأتيك فيه فوَاعَدَهُن ميعادًا فأمرهن ووعظهن وقال:" ما منكنَّ امرأةٌ يموت لها ثلاثة من الولد إلا كانوا لها حجابًا من النار"، فقالت امرأة: أو اثنان فإنه مات لي اثنان" فقال رسول الله ﷺ:" أو اثنان ". (صحيح الجامع:٥٨٠٥)

١- بخ بخ: كلمة تُقال عند الرضا بالشيء، وهي مبنية على الكسر والتنوين وتخفف في الأكثر.
٢- الحَامَّة: أي القرابة وخاصته ومن يحزنه ذهابه وموته، جمع حميم.
٣- قال العلماء: تحلة القسم: ما ينحل به اليمين، وهو المقصود بقوله تعالى: {وإن مّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا(٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا} (مريم: ٧١،٧٢) وقد اختلف أهل العلم في معنى الورود الذكور في الآية على أقوال، أشهرها قولين: القول الأول: أن المراد بورود النار في الآية: هو دخول النار، وتكون بردًا وسلامًا على أهل الايمان وهذا قول ابن عباس، وجابر ﷺ ومجاهد، ورجَّحه الشنقيطي- رحمه الله- في تفسيره أضواء البيان:٣٧٦/٤" ويدل على هذا القول: قوله تعالى في فرعون: {يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ} [هود:٩٨] وقوله تعالى: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ} [الأنبياء: ٩٨] وقوله تعالى: {لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا} [الأنبياء:٩٩]، فالورود في ذلك كله: الدخول، واستدلوا بقول أبي سمية:" اختلفنا في الورود، فقال بعضنا: "لا يدخلها مؤمن، وقال بعضنا:" يدخلونها جمعيًا، ثم يُنجِّي الله الذين اتقوا، فلقيت جابر بن عبد الله، فقلت له:" إنا اختلفنا في الورود، فقال: يردُونَها جميعًا" وروى مسلم الأعور عن مجاهد أنه قال عند قوله تعالى: {وَإِن مّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا} [مريم:٧١] قال: "داخلها".
القول الثاني: "إن المقصود بالورود في الآية هو المرور على الصراط - وهذا هو الراجح - قال قتادة في قوله تعالى: {وَإِن مّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا} قال: "هو الممرُّ عليها" وممَّا يدل على أن الورود المقصود به المرور على الصراط، ما أخرجه الإمام أحمد والترمذي والحاكم عن ابن مسعود ﷺ قال في قوله تعالى: {وَإِن مّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا} قال رسول الله ﷺ : "يردُ الناس ثم يصدرون عنها بأعمالهم، فأولهم كلمح البصر، ثم كمرِّ الريح، ثم كحضر الفرس، ثم كالراكب في رحلة، ثم كشدِّ الرَّجل، ثم كمشيه" (صحيح الجامع:٨٠٨١) وقال شيخ الإسلام في "مجموع الفتاوي"(٢٧٩/٤): "إن المراد بالورود والمذكور في الآية: هو المرور على الصراط"

- ***وفي رواية:*** " أن النساء قلنَّ للنبي ﷺ: غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوما من نفسك فوعدهن يومًا لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن، فكان مما قال لهن: "ما منكم امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجابا من النار". فقالت امرأة: واثنين. فقال:" واثنين ".

- ***وأخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال:*** " جَاءَتِ امرأَةٌ إِلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ الرِّجالُ بحَديثِكَ، فاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتيكَ فيهِ تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّه، قَالَ: " اجْتَمِعْنَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا " فَاجْتَمَعْنَ، فَأَتَاهُنَّ النبيُّ ﷺ فَعَلَّمَهنَّ مِمَّا علَّمهُ اللَّه، ثُمَّ قَالَ:" مَا مِنْكُنَّ مِن امْرَأَةٍ تُقَدِّمُ ثَلاثةً منَ الوَلَدِ إلاَّ كانُوا لهَا حِجَابًا منَ النَّار" فَقالتِ امْرَأَةٌ: وَاثنينِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ:" وَاثْنَيْن ".

وأخرج الإمام مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِنِسْوَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ: " لَا يَمُوتُ لِإِحْدَاكُنَّ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ فَتَحْتَسِبَهُ، إِلَّا دَخَلَتِ الْجَنَّةَ فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: أَوِ اثْنَيْنِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: أَوِ اثْنَيْنِ ".

قال النووي-رحمه الله- في شرحه على مسلم:١٦/٤٢٠": "وقد جاء في غير مسلم: "وواحد"[١]. اهـ.

- ***وأخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال:*** " أتت امرأة إلي النبي ﷺ بصبيٍ لها فقالت: يا رسول الله ادعُ الله له فلقد دفنتُ ثلاثةً قبله، فقال ﷺ: دفنت ثلاثةً؟ (مستعظمًا أمرها)، قالت: نعم .. قال: لقد احْتَظَرتِ بحظارٍ[٢] شديدٍ من النار".

- ***وفي رواية عند مسلم بلفظ:*** " جاءت امرأة إلي النبي ﷺ بابن لها فقالت: يا رسول الله! إنه يشتكي وإني أخاف عليه دفنتُ ثلاثةً قبله، فقال ﷺ:" لقد احْتَظَرتِ بحظارٍ شديدٍ من النار".

ومعني الحديث: لقد احتميت من النار وتحصنت منها بحصن حصين وحمي منيع.

(انظر شرح الإمام النووي على مسلم:١٦/٤٢٠)

وأصل الحظر: المنع، كأن المرأة امتنعت عن النار بمن مات لها من ولدها.

قال ابن منظور-رحمه الله- في" لسان العرب :٢/٩١٩": والاحتظار: فعل الحظار، أراد: لقد احتميت بحمى عظيم من النار يقيك حرها ويُؤمِّنُكِ دخولها. أي لقد احتميت بحمى عظيم من النار فما أعظم الأجر وما أكمل الثواب وما أجدر أن يُستعذب العذاب فى طلب هذا الثواب ".

١- ذكر الحافظ ابن حجر- رحمه الله- في فتح الباري:١١٩/٣"جميع الأحاديث التي فيها زيادة واحد، وتكلم عليها كلامًا نفيسًا، ثم أشار إلى أن الذي يستدل به على ذلك حديث "ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة". قال: وهذا يدخل فيه الواحد". وذكر الحافظ أيضًا أنه يدخل في ذلك حديث قرة بن إياس ﷺ وهو عند الإمام أحمد وفيه: " أن رجلًا كان يأتي النبي ﷺ ومعه ابن له، فقال النبي ﷺ: أتحبهُ؟ فقال: يا رسول الله، أحبك الله كما أحبه. ففقده النبي ﷺ فقال: ما فعل ابن فلان؟ فقالوا: يا رسول الله مات، فقال النبي ﷺ لأبيه: أما تحب ألا تأتي بابًا من أبواب الجنة إلا وجدته عليه ينتظرك؟ فقال رجل: يا رسول الله، أَلَهُ خاصةً أم لكلنا؟ فقال ﷺ: بل لكُلِّكُم". -وفي رواية:" ما يسرك ألا تأتي بابًا من أبواب الجنة إلا وجدته عنده يسعى يفتح لك.

٢- الحِظَار: وهو ما يجعل كالسّور حول البستان وغيره من القضبان، وغيرها كالحائط.

٤- موت الولد والصبر عليه سبب لدخول الجنة:

- فقد أخرج الإمام أحمد والنسائي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " ما من مسلمَيْنِ[١] يموت بينهما ثلاثةُ أولادٍ[٢]، لم يبلغوا الحِنْثَ[٣]، إلا أدخلهما الله بفضل رحمته إياهم[٤] الجنة، يقال لهم[٥]: ادخلوا الجنة، فيقولون: حتى يدخلَ أبوانا[٦]: فيقالُ:ادخلوا الجنَّةَ أنتم وأبواكم ". (صحيح الجامع:٥٧٨٠)

- وأخرج الإمام البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " من مات له ثلاثةٌ من الولد لم يبلغوا الحِنْثَ كان له[٧] حجابًا من النار أو دخل الجنة ".

- وأخرج الإمام أحمد وابن ماجه عن معاذ ﷺ عن النبي ﷺ قال: " ما من مسلمين يتوفى لهما ثلاثة من الولد إلا أدخلهما الله الجنة بفضل رحمته إياهم، فقالوا: يا رسول الله: أو اثنان؟ قال: أو اثنان ثم قال ﷺ: والذي نفسي بيده إن السقط [٨] ليجرُّ أمه بسَرَرِه[٩] إلي الجنة إذا احتسبته ".[١٠] (صحيح الجامع:٧٠٦٤)

وهذه الأحاديث أكثرها في الولد الذي لم يبلغ الحنث، ولكن الولد الصالح البالغ أشد مصيبة على والديه خصوصًا إذا كان قد برز في العلم أو له بر وإحسان إلى والديه وأقاربه وأصحابه.

- وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: " يقول الله -عز وجل-: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء[١١] إذا قبضت صفيَّه[١٢] من أهل الدنيا ثم احتسبه[١٣] إلا الجنة ".

- وأخرج النسائي من حديث ابن عمرو-رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: " إن الله لا يرضى لعبده المؤمن إذا ذهب بصفيّه من أهل الأرض فصبر واحتسب بثواب دون الجنَّة ". (صحيح الجامع: ١٨٥١)

يقول ابن الأثير-رحمه الله-: " الصفي: الخليل والصديق يختاره الإنسان ويصطفيه ". أهـ.

يا له من جزاءٍ فعندك اللهم نحتسب أصفياءنا وأصدقاءنا وأحبابنا وآباءنا وأمهاتنا، وأنت حسبنا ونعم الوكيل وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقال الحافظ -رحمه الله- في الفتح:١١/٢٤٧" قال الجوهري: " احتسب ولده إذا مات كبيرًا، فإن مات صغيرًا قيل أفْرَطَه وليس هذا التفصيل مرادًا هنا، بل المراد بالاحتساب هنا هو الصبر على فقده راجيًا الأجر من الله على ذلك، وأصل الحِسبة بالكسر: الأجرة، والاحتساب طلب الأجر من الله تعالى خالصًا، واستدل به ابن بطال على أن من مات له ولدٌ واحد يلتحق بمن مات له ثلاثة وكذا اثنان". اهـ.

١- ما من مسلمين: يقصد بهما الزوجين.
٢ أولاد: سواء كانوا ذكورًا أو إناثًا
٣- الحنث: بكسر الحاء وسكون النون، والمقصود به: الإثم والذنب، والمعنى: أنهم ماتوا قبل أن يبلغوا من العمر سنًا تكتب عليهم فيه الذنوب- أي ما دون التكليف- (أفاده النووي في شرحه على مسلم:١٦/٤٢٠))
٤- أي بسبب رحمته تعالى للأولاد.
٥- يقال لهم: أي تقول لهم الملائكة.
٦- حتى يدخلَ أبوانا: أي لا ندخلها حتى يدخل آباؤنا وأمهاتنا معنا الجنة.
٧- قال الحافظ في الفتح:٣/٢٤٥: قوله: "كان له" كذا للأكثر: أي كان موتهم له حجابًا، وللكشميهني "كانوا" أي الأولاد.
٨- السقط: هو الذي يموت قبل اكتمال نموه.
٩- السرر: هو ما تقطعه القابلة (أي الحبل السري).
١٠ الحديث ضعفه جمع من أهل العلم وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/٢٦٨ ح ١٣٠٥)
١١- جزاء: أي الثواب
١٢- صفيَّه: قال الحافظ: هو الحبيب المصافي، كالولد والأخ وكل من يحبه الإنسان، والمراد بالقبض: قبض روحه: وهو الموت.
١٣- احتسبه: الاحتساب: أي صبر راضيًا بقضاء الله راجيًا فضله. (قاله الحافظ ابن حجر في الفتح:١١/٢٤٣)

- ***وأخرج الإمام أحمد من حديث معاوية بن قرة بن إياسٍ عن أبيه:*** " أن رجلًا كان يأتي النبي ﷺ ومعه ابن له، فقال النبي ﷺ: أتحبهُ؟ فقال: يا رسول الله، أحبك الله كما أحبه. ففقده النبي ﷺ فقال: ما فعل ابن فلان؟ فقالوا: يا رسول الله مات، فقال النبي ﷺ لأبيه: أما تحب ألا تأتي بابًا من أبواب الجنة إلا وجدته عليه ينتظرك؟ فقال رجل: يا رسول الله، أَلَهُ خاصةً أم لكلنا؟ فقال ﷺ: بل لكُلِّكُم ".

- ***وفي رواية:*** " ما يسرك ألا تأتي بابًا من أبواب الجنة إلا وجدته عنده يسعى يفتح لك ".

- ***وفي رواية النسائي قال:*** " كان نبي الله ﷺ إذا جلس جلس إليه نفر من أصحابه فيهم رجل له ابن صغيرٌ يأتيه من خلف ظهره فيقعده بين يديه فهلك، فامتنع الرجل أن يحضر الحلقة لذكر ابنه، ففقده النبي ﷺ فقال: ما لي لا أري فلانًا؟ قالوا يا رسول الله بُنَيَّه الذي رأيته هلك، فلقيه النبي ﷺ فسأله عن بنيه فأخبره أنه هلك، فعزَّاه عليه ثم قال: يا فلان أيهما كان أحب إليك؟ أن تُمَتَّع به عمرك أولا تأتي إلى باب من الجنة إلا وجدته قد سبقك إليه يفتحه لك، قال: يا نبي الله بل يسبقُني إلى باب الجنة فيفتحها لهو أحبُّ إلي قال: فذاك لك ". (صحيح الجامع:٧٩٦٣) (صحيح الترغيب والترهيب:٢٠٠٧)

- ***أخرج الإمام مسلم وأحمد عن أبي حسان خالد بن علان قال: قلت لأبي هريرة رضي الله عنه:*** " إنه قد مات لي ابنان فما أنت مُحدثي عن رسول الله ﷺ بحديث تُطيبُ به أنفسنا عن موتانا؟ قال: نعم، صغارُهُم دعاميص[1] الجنَّة يتلقى أحدهم أباه – أو قال: أبويه – فيأخذ بثوبه – أو قال بيده– كما آخُذُ أنا بصنفة ثوبك[2]هذا فلا يتناهى[3]– أو قال: فلا ينتهي– حتى يُدخله الله وأباه الجنة ". (الصحيحة: ٤٥٣٢)

- ***وأخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:*** " ما من مسلم يموتُ له ثلاثةٌ لم يبلغوا الحِنْثَ إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم ".

- ***وفي رواية:*** " ما من الناس مسلم يُتوفى له ثلاث لم يبلغوا الحِنْثَ، إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم ".

- ***وعند النسائي وابن حبان بلفظ:*** " من احتسب ثلاثةً من صُلْبِه، دخل الجنة "، قالت امرأة: واثنان؟ قال: " واثنان ". (صحيح الجامع: ٥٩٦٩)

- ***وأخرج الإمام أحمد والطبراني بسند حسن عن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:*** " من أَثْكَل ثلاثةً من صُلبه في سبيل الله، فاحتسبهم على الله–عز وجل–، وجبت له الجنة ". (صحيح الجامع:٥٩٤٩)

١- قوله: " دعاميص" واحدهم دعموص: أي صغار أهل الجنة.
وأصل الدعموص: دويبة تكون في الماء لا تفارقه. أي: هذا الصغير في الجنة لا يفارقها وشبه الطفل بها لصغره وسرعة حركته في الجنة، وقيل الدعموص: هو الرجل الكثير الدخول على الملوك من غير إذن منهم لا يخاف حيث دخل في ديارهم لمكانته عندهم، وشبه الطفل به لذهابه في الجنة حيث شاء لا يمنع من قصر منها ولا مكان.
٢- صنفه ثوبك: أي طَرَفه أو حاشيته وطرفه الذي لا هدب له، وقيل بل هي الناحية ذات الهدب، ويقال: هي حاشية الثوب أي جانبٍ كان.
٣- فلا يتناهي: أي لا يتركه.

- ***وأخرج ابن ماجه بسند حسن عن عتبة بن عبد السُّلمي ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :*** **" ما من مسلم يموت له ثلاثةٌ من الولد لم يبلغوا الحنث، إلا تلقَّوه من أبواب الجنة الثمانية، من أيها شاء دخل".**

(صحيح الجامع:٥٧٧٢)

- ***وأخرج الطبراني بسند صحيح عن حبيبة -رضي الله عنها-:*** **" أنها كانت عند عائشة - رضي الله عنها- فجاء النبي ﷺ حتى دخل عليها فقال:" ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا جئ بهم يوم القيامة حتى يُوقفوا على باب الجنة فيقال لهم: ادخلوا الجنة، فيقولون: حتى يدخل آباؤنا، فيُقال لهم: ادخلوا أنتم وآباؤكم ".**

وأخرج الإمام أحمد عن شرحبيل بن شفعة عن بعض أصحاب النبي ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: **" يقال للولدان يوم القيامة: ادخلوا الجنة. قال: فيقولون: يا رب حتى يدخل آباؤنا وأمهاتنا. قال: فيأتون، قال: فيقول الله عز وجل: ما لي أراهم محبنطئين[١]، ادخلوا الجنة. قال: فيقولون: يا رب آباؤنا وأمهاتنا. قال: فيقول: ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم ".**

- ***وأخرج الإمام أحمد وابن حبان عن جابر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:*** **" من مات له ثلاثة من الولد فاحتسبهم دخل الجنة، قال: قلنا يا رسول الله: واثنان؟ قال:" واثنان ". قال محمود:** (يعني ابن لبيد) **فقلت لجابر: أراكم لو قُلتم واحدًا لقال واحداً، قال جابر: وأنا أظن ذلك ".**

- ***وأخرج الطبراني أن النبي ﷺ قال:*** **" ما من مسلمٍ ومسلمةٍ يموتُ لهما أربعة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا أدخلهما الله الجنة ".**

٥- بيت في الجنة لمن صبر على موت الولد:

فقد أخرج الترمذي عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **" إذا مات ولد العبد؛ قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم. فيقول: قبضتُم ثمرة فؤاده؟ [٢] فيقولون: نعم، فيقول: فماذا قال عبدى؟ فيقولون: حمدك واسترجع[٣] فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة وسموه بيت الحمد[٤] ".** (صحيح الجامع:٧٩٥) (الصحيحة:١٤٠٨)

فيا لها من بُشري لكل من مات ولده فاحتسبه ... فيأتي يوم القيامة فيجد أن الله - جل وعلا - الذي وسعت رحمته كل شيء قد أنعم عليه ببيت الحمد في الجنة.

ويا لها من بشارة بالموت على الإيمان؛ لأن الله إذا أمر ببناء بيت لأحد من عبيده لابد لذلك العبد من سكني هذا البيت في يومٍ من الأيام.. وهذا دليل على أن هذا العبد سيموت على الإيمان.

١- محبنطئين: أي ممتلئين غضبا كما في «لسان العرب».
٢- ثمرة فؤاده: قال ابن الأثير: يقال للولد الثمرة ؛ وذلك لأن الثمرة هي ما تنتجه الشجرة وكذلك الولد من الرجل ما ينتجه.
٣- استرجع: أي قال: إنا لله وإنا إليه راجعون.
٤- وقال القاري كما في تحفة الأحوذي (١٠١/٤): أضاف البيت إلى الحمد الذي قاله عند المصيبة لأنه جزاء ذلك وما وعده الله به في كتابه وعلى لسان حبيبه أمر مقطوع به محقق إن شاء الله

همسات لمن فقد الأولاد

الهمسة الأولى: يا من مات له ولد! إذا أردت أن تفوز بهذا الأجر فلابد أن يكون صبرك عند الصدمة الأولي.

وقد نقل الحافظ في" الفتح :٣/١٤٩" عن الخطابي –رحمه الله– أنه قال: إن الصبر الذي يحمد عليه صاحبه ما كان عند مفاجأة المصيبة، بخلاف ما بعد ذلك، فإنه على الأيام يسلو".

وقد أخرج البخاري ومسلم عن أنس ﷺ قال: **أن رسول الله ﷺ أتى على امرأةٍ تبكي على صبي لها، فقال لها: اتقي الله واصبري، فقالت: وما تُبالي بمصيبتي؟، فلما ذهب قيل لها: إنه رسول الله ﷺ، فأخذها مثل الموت، فأتت بابه فلم تجد على بابه بوابين، فقالت: يا رسول الله لم أعرفك، فقال: إنما الصبر عند أول صدمة ".**

– ***وفي رواية:*** **" مرَّ رسول الله ﷺ بامرأة عند قبر وهي تبكي، فقال لها: اتقي الله واصبري، فقالت: إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي، قال: ولم تعرفه، فقيل لها: هو رسول الله ﷺ، فأخذها مثل الموت، فقالت: يا رسول الله إني لم أعرفك، فقال رسول الله ﷺ: إنما الصبر عند الصدمة الأولي ".**

– ***وفي رواية:*** **" إن الصبر عند أول الصدمة ".**

قال النووي–رحمه الله– في شرحه على مسلم ٦/٢٢٧ عند هذا الحديث ": ومعني الحديث " **إنما الصبر عند أول صدمة** " أي الصبر الكامل الذي يترتب عليه الأجر الجزيل لكثرة المشقة فيه.

وأصل الصدم: الضرب على شيء صلب، ثم أُستعمل مجازًا في كل مكروه حصل بغتة.

وقال الطيبي–رحمه الله–: صدر هذا الجواب منه ﷺ عن قولها: " **لم أعرفك** " على أسلوب الحكيم كأنه قال لها: دعي الاعتذار فإني لا أغضب لغير الله وانظري لنفسك.

وقال القاري–رحمه الله– كما في "عون المعبود:٨/٣٩٦": ومعناه: الصبر عند الحملة الأولي وابتداء المصيبة وأول لحوق المشقة، وإلا فكل أحدٍ يصبر بعدها. اهـ.

ويقول ابن القيم –رحمه الله– كما في عدة الصابرين ص ١٠٤: وقوله:" **الصبر عند الصدمة الأولي:** مثل قوله:" **ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ".**

فإن مفاجآت المصيبة لها روعة تزعزع القلب وتزعجه بصدمها، فإن صبر للصدمة الأولي انكسر حدها وضعفت قوتها فهان عليه استدامة الصبر، وأيضًا فإن المصيبة ترد على القلب وهو غير موطن لها فتزعجه وهي الصدمة الأولي. وأما إذا وردت عليه بعد ذلك توطن لها وعلم أنه لابد له منها، فيصبر صبره شبيه الاضطرار. وهذه المرأة علمت أن جزعها لا يجدي عليها شيئًا. جاءت تعتذر إلي النبي ﷺ كأنها تقول له: قد صبرت، فأخبرها أن الصبر إنما هو عند الصدمة الأولي. اهـ.

الهمسة الثانية: مما يهون على المصاب بفقد الأولاد علم الآباء بأن أبنائهم في الجنة.

قَالَ النووي –رحمه الله– فِي شرح مُسلم بعد أن ساق الأحاديث في فضل من يموت له ولد فيحتسبه:

" وَفِي هَذِه الْأَحَادِيث دَلِيل على كَون أَطْفَال الْمُسلمين فِي الْجنَّة وَقد نقل جمَاعَة فِيهِ إِجْمَاع الْمُسلمين، قَالَ الْمَازرِيّ أما أَوْلَاد الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِم الصَّلَاة وَالسَّلَام فالإجماع مُتَحَقق على أَنهم فِي الْجنَّة، وَأما أَطْفَال من سواهُم من الْمُسلمين فجماهير الْعلمَاء على الْقطع لَهُم بِالْجنَّةِ، وَنقل جمَاعَة الْإِجْمَاع على كَونهم من أهل الْجنَّة قطعا لقَوْله تَعَالَى ﴿وَالَّذين آمنُوا وَاتَّبَعتهمْ ذُرِّيتهمْ بِإِيمَان ألحقنا بهم ذُرِّيتهمْ﴾ (الطّور: ٢١)

فيا من مات ولده الصغير! ألا تحب أن يكون ولدك مع إبراهيم –عليه السلام– في الجنة يكفُلُه؟

فقد أخرج ابن حبان في صحيحه بسند حسن عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **" ذراري المؤمنين يَكْفُلُهُم إبراهيم – عليه الصلاة والسلام– في الجنة ".** (صحيح الجامع :٣٤٢٨)

وأخرج البخاري عن سمرة بن جندب ﷺ أن النبي ﷺ قال: (في حديث الرؤيا الطويل)**" أنه أتاني الليلة آتيان وأنهما ابْتَعثاني (وفي الحديث) فأتينا على روضة معتمَةٍ فيها من كل نَوْر الربيع وإذا بين ظهراني الروضة رجلٌ طويلٌ لا أكاد أرى رأسه طولًا في السماء، وإذا حول الرجل من أكثر ولدانٍ رأيتهم قط ".**

وذكر الحديث وفيه:" وأما الرجلُ الطويلُ الذي في الروضة فإنه إبراهيم . عليه السلام . وأما الولدان الذين حوله فكل مولودٍ مات على الفطرة ".

الهمسة الثالثة: يا من مات ولده! أبشر فإنه سيشفع لك يوم القيامة.

أخرج أبو نعيم في الحلية والطبراني عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ: **" إذا كان يوم القيامة نُودي في أطفال المسلمين: أن اخرجوا من قبوركم، فيخرجون من قبورهم، ثم يُنادي منهم أن امضوا إلى الجنة زمرًا، فيقولون: يا ربنا ووالدينا معنا، فيقول في الرابعة ووالديكم معكم، فيثب كل طفل إلى أبويه فيأخذون بأيديهم فيدخلونهم الجنة، فهم أعرف بآبائهم وأمهاتهم يومئذ من أولادكم في بيوتكم ".**

وما أحسن ما عزّي بعضهم صاحبًا له بولده فقال:

فإن كُنتَ تبكيهِ طلابًا لنفعـه ... فقـد نـالَ جنَّاتِ الخُـلُود مُسَارِعًا

وإن كُنتَ تبكي أنّه فانٍ عُودَهُ ... عليك بِنَفْع فاسْلُ[1] قد صارَ شافعًا

– وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" صغارهم دعاميص الجنة يلقى أحدهم أباه . أو قال أبويه، فيأخذ بثوبه – أو قال بيده – كما آخُذُ أنا بصنفه ثوبك هذا فلا يتناهى . أو قال فلا ينتهي . حتى يدخله الله وإياه الجنة ".**

وعند الإمام أحمد والنسائي بسند صحيح عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" ما من مسلمين يموت لهما (بينهما) ثلاثة أولاد، لم يبلغوا الحنث إلا أدخلهما الله بفضل رحمته إياهم الجنة، يقال لهم: ادخلوا الجنة فيقولون: حتى يدخل أبوانا، فيقال: ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم ".**

١- أي تسلى بكونه قد صار شافعًا لك يوم القيامة، فهذا أكبر نفع يمكن أن يُرجي من وراء ولدك.

فرح السلف بموت الولد

فلهذا ولغيره كان السلف لا يحزنون على موت الولد، بل ربما تمنوا موته للفوز بهذا الأجر العظيم من الرب الكريم وهم الذين نظروا بعين الاعتبار إلي قول الحبيب المختار ﷺ.

ففي الحديث الذي أخرجه مسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: **" قال رسول الله ﷺ:" ما تَعُدُّون فيكم الرَّقُوبَ؟ [1] قال: قلنا: الذي لا يولد له، قال: " ليس ذاك بالرقوب. ولكن الرَّقُوبَ الذي لم يُقدِّم من ولده شيئًا، فما تعدون الصّرعة فيكم؟ قلنا: الذي لا تصرعه الرجال، قال: ليس بذاك، ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب ".**

قال النووي-رحمه الله-: ومعني الحديث أنكم تعتقدون أن الرقوب المحزون: هو المصاب بموت أولاده، وليس هو كذلك شرعًا، بل هو من لم يمت أحد من أولاده في حياته، فيحتسبه له ثواب مصيبته به وثواب صبره عليه ويكون له فرطًا وسلفًا.

وأخرج البزار من حديث بُريدة بن الحصيب ﷺ قال: **" كان رسول الله ﷺ يتعهد الأنصار ويعودهم ويسأل عنهم، فبلغه عن امرأةٍ من الأنصار مات ابنها وليس لها غيره وأنها جزعت عليه جزعًا شديدًا، فآتاها النبي ﷺ ومعه أصحابه، فلما بلغ باب المرأةٍ، قيل للمرأة أن نبي الله يريد أن يدخل يُعزيها، فدخل رسول الله ﷺ فقال: أما إنه بلغني أنك جزعت على ابنك، فأمرها بتقوى الله وبالصبر، فقالت: يا رسول الله: ما لي لا أجزع وإني امرأة رقوب لا ألد ولم يكن لي غيره؟ فقال رسول الله ﷺ: الرقوب الذي يبقي ولدها ثم قال: ما من امرئ أو امرأةٍ مسلمة يموت لها ثلاثة أولاد يحتسبهم إلا أدخله الله بهم الجنة، فقال عمر ﷺ وهو عن يمين النبي ﷺ: بأبي أنت وأمي واثنين؟ قال:" واثنين ".** (الجنائز للألباني ص ٢٠٨)

وكان السلف يفهمون هذا المعني جيداً.

١- فقد قيل لرجل:" كم ولد لك؟ قال: تسعة، فقيل له: إنما نعرف لك واحدًا، فقال: كان لي عشرة فقدمت تسعة -أي: ماتوا في عهدي-، وبقي لي واحدٌ، فلا أدري أنا له أم هو لي ".

٢- وقال أبو مسلم الخولاني -رحمه الله-:

لأن يولد لي مولود يحسن الله نباته، حتى إذا استوى على شبابه، وكان أعجب ما يكون إلي، قبضه الله -تعالى- مني، أحب إلى من أن تكون الدنيا وما فيها لي. (حلية الأولياء:١٢٧/٢) (ضعيف)

١- الرقوب من النساء: هي التي لا يعيش لها ولد (لسان العرب١٧٠١/٣).

٣-عن محمد بن خلف-رحمه الله- قال:

كان لإبراهيم الحربي ابنٌ كان له إحدى عشرة سنة، حفظ القرآن ولقّنه من الفقه جانبًا كبيرًا، قال: فمات. فجئت أعزيه، فقال: كنت أشتهي موت ابني هذا. قال: قلت له: يا أبا إسحاق أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا في صبي قد أنجب[١] ولقنته الحديث والفقه؟ قال: نعم. رأيت في منامي كأن القيامة قد قامت وكأن صبيانًا بأيديهم قِلالُ فيها ماءٌ، يستقبلون الناس فيسقونهم وكان اليوم يومًا حارًا شديدًا حره، قال: فقلت لأحدهم: اسقني من هذا الماء، قال: فنظر إليّ. وقال: ليس أنت أبي، قلت: فأي شيء أنتم؟ قال: فقال لي: نحن الصبيان الذين متنا في دار الدنيا وخلفنا آباؤنا فنستقبلهم فنسقيهم الماء، قال: فلهذا تمنيت موته.

(ضعيف)

٤- وروي ابن أبي شيبة بإسناده عن ثابت البنانيّ -رحمه الله -:

أن صلة بن أشيم كان في غزاة له ومعه ابن له، فقال له: أي بني تقدم فقاتل حتى أحتسبك، فحمل فقاتل حتى قُتل، ثم تقدم أبوه فقُتل، فاجتمعت النساء، فقامت امرأته معاذة العدوية، فقالت للنساء: مرحبًا، إن كنتن جئتن لتهنئنني، مرحبًا بكن، وإن كنتن جئتن لغير ذلك، فارجعن.

والمقصود أن هذا المقام مقام عظيم شريف لمن يطلب المصيبة ويفرح بها نظرًا إلى ثوابها.

٥- روي ابن أبي حاتم بإسناده في تفسيره عن خالد بن يزيد عن عياض عن عقبة: أنه مات له ابن يُقال له: يحيى، فلما نزل في قبره قال له رجل: والله إن كان لسيد الجيش فاحتسبه، فقال والده: وما يمنعني أن أحتسبه، وكان من زينة الحياة الدنيا، وهو اليوم من الباقيات الصالحات؟! (إسناده حسن)

يقصد قوله تعالى: ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ (الكهف:٤٦)

٦- وقال سفيان الثوري-رحمه الله -:

قال عمر بن عبد العزيز-رحمه الله- لابنه: كيف تجدك؟ قال: في الموت، قال: لأن تكون في ميزاني أحبُّ إليّ من أن أكون في ميزانك، فقال: والله يا أبت لأن يكون ما تحب أحب إليّ من أن يكون ما أحب.

٧- وروي الإمام أحمد في الزهد بإسناده عن الحسن-رحمه الله- قال:

حدثني الأحوص قال: دخلنا على ابن مسعود ﷺ وعنده بنون له ثلاثة، كأنهم الدنانير حُسنًا، فجعلنا نتعجب من حُسنهم، فقال لنا: كأنكم تغبطونني بهم؟[٢] قلنا: إي والله، لمثل هؤلاء يغبط المسلم، فرفع رأسه إلي سقف بيت له صغير، قد عشش فيه خُطَّاف [٣]وباض، فقال: والذي نفسي بيده لأن أكون نفضتُ يدي عن تراب قبورهم، أحبُ إلي من أن يسقط عش هذا الخطاف وينكسر بيضه.

١- النجيب: الفاضل من كل حيوان وقد نجب ينجب نجابة إذا كان فاضلًا نفيسًا في نوعه، والنجيب من الرجال: الكريم الحسيب، ورجل نجيب أي: كريم بين النجابة.
٢- الغِبْطَةُ: أن تتمني مثل حال المغبوط من غير أن تريد زوالها ولا أن تتحول عنه، وليست بحسد؛ لأن الحسد: أن تتمني نعمته أن تتحول عنه وأن تزول النعمة من المحسود.
٣- الخُطَّاف: طائر، وقال ابن سيدة: والخطاف العصفور الأسود وهو الذي تدعوه العامة عصفور الجنة، وجمعه: خطاطيف. (لسان العرب: ١٢٠١/٢)

٨- وأخرج أبو نعيم في" الحلية: ٤/٢٧٥" عن سفيان عن حميد الأعرج -رحمه الله- قال:

"كنت عند سعيد بن جبير-رحمه الله- فأقبل ابن له فقال: إني لأعرف خير خلة فيه، أن يموت فأحتسبه".

٩- قال أبو الحسن المدائني -رحمه الله-:

دخل عمر بن عبد العزيز على ابنه عبد الملك في مرضه - رحمهم الله جميعًا- فقال: يا بني كيف تجدك؟ قال: تجدني أبتاه في الموت. قال: يا بني، لأن تكون في ميزاني أحب إلى من أن أكون في ميزانك. فقال الابن: يا أبتي، والله لأن يكون ما تحبه أحب إليّ من أن يكون ما أحبه، ثم مات - عليه رحمة الله -.

ولكن.. لابد من الصبر والرضا والاستسلام والاحتساب عند فقد الأولاد، للفوز بالأجر والثواب

فما أجمل الرضا بقضاء الله في كشف محن المصاب وكرباته، هذه سجايا السلف: صبر واحتساب وتجلد وتحمل ورضا واسترجاع وبُعد عن التسخط والجزع والتذمر عند المصاب..

ولنعلم أن البكاء الذي لا صوت معه ولا تسخط لا يعارض الرضا، فأشد الناس حرصًا على رضا مولاهم هم الأنبياء، وأرضي الخلق نبينا - عليه الصلاة والسلام -.

١- فها هو الحبيب النبي -صلى الله عليه وسلم- بكي يوم مات ابنه إبراهيم رأفة ورحمة منه للولد ورقة عليه وقلبه ممتلئ بالرضا ولسانه مشتغل بحمد الله وذكره وهذا أكمل هديٍ وأتمه، فإنه ﷺ حملته الرحمة بالطفل على البكاء، ومحبة الله على الرضا وخير الهدي هديه ﷺ.

- *وفي الصحيحين*" أن النبي ﷺ دخل على ابنه إبراهيم وهو يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله تذرفان، قال عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟ قال ﷺ: يا بن عوف، إنها رحمة، إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون ".

***وفي الصحيحين أيضًا أن النبي ﷺ قال:*" إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا أو يرحم، وأشار إلى لسانه ﷺ ".**

***وفي الصحيحين أيضًا عن أسامة بن زيد -رضي الله عنهما-*" أن النبي ﷺ رفع إليه ابن ابنته وهو في الموت نفسه تقعقع، ففاضت عينا رسول الله ﷺ فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟ قال: هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء ".**

فالله يقضي ما يشاء، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط، فمن استعان بالله وشكره في السراء والضراء ورضي بقدر الله انكشف كربه ورضيت نفسه فهو بحياة طيبة على كل حال، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن وأصابته ضراء صبر فكان خيرًا له. ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (فصلت: ٣٥)

ولنعش أيها الأحبة مع الراضين دقائق غالية قليلة، لنتخذهم أسوة وقدوة ومثلًا من باب

سيروا كما ساروا لتجنوا ما جنوا وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم

٢- وانظر أخي الحبيب إلي نبي الله يعقوب -عليه السلام-:

ذلك الوالد المصاب بفقد ولده، كم كان هذا الفقد مؤلمًا له كم كان هذا الحزن عميقًا، ولكنه هو الصابر المحتسب، المستسلم لأمر ربه فما زاد على قوله: ﴿يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾ (يوسف: ٨٤)

قال هذه الكلمة وهناك من الأحاسيس الحزينة التي كانت تجيش في صدره لكنه ما زاد على هذا فقط، فيا له من صبر جميل، ويا له من حزن دفين بين حنايا الصدر ويزداد هذا الحزن حتى تبيض عيناه **كما يقول تعالى:** ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (يوسف: ٨٤) وكل هذا وهو لا يئن ولا يتوجع ولا يشكو ما به ولم يقل:

اسْمَعْ أَبُثّك عِلَّتي فلعلني أُطْفِي بذلك حُرْقَةَ الوَجْدِ

ولكنه قال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٨٤)

٣- وصبر جميل لأم سليم - رضي الله عنها -:

أخرج البخاري في صحيحه (باب من لم يُظهر حزنه عند المصيبة) عن أنس بن مالك ﷺ قال:

" اشتكي ابن لأبي طلحة، قال: فمات وأبو طلحة خارج، فلما رأت امرأته أنه قد مات هيأت شيئًا[١] ونحته في جانب البيت، فلما جاء أبو طلحة قال: كيف الغلام؟ قالت: قد هدأت نفسه وأرجو أن يكون قد استراح وظن أبو طلحة أنها صادقة، قال: فبات فلما أصبح اغتَسَلَ[٢] فلما أراد أن يخرج أعلمته أنه قد مات فصلى مع النبي ﷺ ثم أخبر النبي ﷺ بما كان منهما، فقال رسول ﷺ: لعل الله أن يبارك لكما في ليلتكما، قال سفيان: فقال رجل من الأنصار: فرأيت لهما تسعة أولاد كلهم قد قرأ القرآن .

***وفي رواية أخرى:* مات ابن لأبي طلحة من أم سليم قالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة حتى أكون أنا أحدثه، قال: فجاء فقربت إليه عشاءً، فأكل وشرب، قال: ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك، فوقع بها فلما رأت أنه شبع وأصاب منها، قالت: يا أبا طلحة أرأيت لو أن قومًا أعاروا عاريتهم أهل بيت، فطلبوا عاريتهم ألهم أن يُمنعوا؟ *وفي رواية:* ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا، قالت: فاحتسب ابنك، قال: فغضب، وقال: تركتيني حتى تلطخت ثم أخبرتيني بابني، فانطلق حتى أتى رسولَ الله ﷺ فأخبَرَهُ بما كان، فقال رسول الله ﷺ: بارك الله لكما في غابر ليلتكما، قال: فحملت *وذكر الحديث وفيه*: فولدت غلامًا.**

***وفي الحديث:* أن رسول الله ﷺ مسح وجهه وسماه عبد الله.**

١- هيأت شيئًا: قيل طعامًا لأبي طلحة، وقيل: هيأت حالها وتزينت، والصواب أنها هيأت أمر الصبي بأن غسلته وكفنته كما ورد في بعض الروايات.
٢- فلما أصبح اغتسل: كناية عن الجماع وقد ورد ذلك في بعض الروايات " فقربت إليه العشاء فتعشّى ثم أصاب منها ".

٤- عن عبد الرحمن بن غنم-رحمه الله- قال:

" دخلنا على معاذ ﷺ وهو قاعد عند رأس ابنه وهو يجود بنفسه فما ملكنا أنفسنا إلا أن ذرفت أعيننا وانتحب بعضنا فزجره معاذ وقال: صَه، فوالله لأن يعلم الله برضاي بهذا أحب إليّ من كل غزاة غزوتها، من كان عليه عزيزًا وبه ضنينًا فصبر على مصيبته واحتسبه أبدل الله الميت دارًا خيرًا من داره وقرارًا خيرًا من قراره، وأبدل المصاب الصلاة والرحمة والمغفرة والرضوان.

قال: فما برحنا حتى قضي الغلام فقام وغسله وحنَّطه وكفنه وصلينا عليه ثم نزل في قبره ووضعه وسوي عليه التراب ثم رجع إلى مجلسه فدعا بدهن فادهن وبكحل فاكتحل وببردة جميلة فلبسها وأكثر من التبسم ينوي ما ينوي، ثم قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، في الله خلف من كل هالك، وعزاءُ من كل مصيبة، ولله الأمر من قبل ومن بعد ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولسان حاله:

كل ما كان من قضاء فيحلو بفـؤادي نزولـــه ويـــطيب

٥- وتموت ابنه لعبد الله بن عباس-رضي الله عنهما- وكان راكبًا في طريقه لمكَّة ويأتيه الخبر، فنزل عن دابته وصلي ركعتين، رفع رأسه للسماء وقال: الحمد لله وإنا لله، عورة سترها الله، ومؤونة كفاها الله، وأجر ساقه الله ثم ركب ومضي.

٦- ومات لعبد الله بن عامر سبعة أبناء في يوم واحد – والأمر مهول مزعج فظيع ولكن كيف استقبل عبد الله هذا الخبر- قال: الحمد لله إني مسلمٌ مُسَلِّم.

يمضي الصغير إذا انقضت أيامه إثر الكبير، ويولد المولود

والناس فـــي قسم المنيـــة بينهم كالزرع منه قائم وحصيد

٧- ومات ابنٌ لأنس ﷺ فقال أنس عند قبره:

" الحمد لله.. اللهم عبدك وابن عبدك وقد رد إليك، فارأف به وارحمه وجاف الأرض عن بدنه، وافتح أبواب السماء لروحه، وتقبله بقبول حسن، ثم انصرف، فأكل وشرب وادهن وأصاب من أهله.

ولسان حاله ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحج: ٧٠)

٨- وكان أبو ذر ﷺ لا يعيش له ولد، فقيل له:

" إنك امرؤ لا يبقي لك ولد.. فقال: الحمد لله كل ذلك في كتاب الحمد لله الذي يأخذهم في دار الفناء ويدخرهم في دار البقاء..، أو كما قال ﷺ ".

٩- ويقف محمد بن سليمان-*رحمه الله*-على قبر ابنه وفلذة كبده بعدما دفنه فيقول:

" كل ذلك في كتاب، الحمد لله وإنا إليه راجعون، اللهم إني أرجوك له وأخافك عليه، اللهم فحقق رجائي فيه، وآمن خوفي عليه..".

١٠- وفي العاقبة للأشبيلي:

يروي أن امرأة من الأعراب حجت ومعها وحيدها، فمرض عليها في الطريق ومات فدفنته بمساعدة الركاب الذين كانوا معها، ثم وقفت بعد دفنه فقالت: يا بني، والله لقد غذوتك رضيعًا وفقدتك سريعًا وكأن لم يكن بين الحالتين مدة ألتذ فيها بعيشك وأتمتع فيها بالنظر إلي وجهك، ثم قالت: اللهم منك العدل ومن خلقك الجور، اللهم وهبتني قرة عين فلم تمتعني به كثيرًا بل سلبتنيه وشيكًا ثم أمرتني بالصبر ووعدتني عليه الأجر، فصدقت وعدك ورضيت قضاءك فلك الحمد في السراء والضراء، اللهم ارحم غربته واستر عورته يوم تكشف العورات وتظهر السوءات، رحم الله من ترحم على من استودعته الردم ووسدته الثري.

ثم لما أرادت الانصراف قالت: أي بني، لقد تزودت لسفري فيا ليت شعري ما زادك لسفرك ويوم معادك؟ اللهم إني أسألك الرضا عنه برضاي عنه، أستودعك بني من استودعني إياك جنينًا في الأحشاء ومن يجازي من صبر في السراء والضراء.

من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر
كنت السواد لناظري فعمي عليك الناظر
ليت المنازل والديار حفائر ومقابر
إني وغيري لا محالة حيث صرت لصائر

١١- ويشتكي ابن لعبد الله بن عمر- رضي الله عنهم - فيشتد وجده عليه، حتى قال بعض القوم: لقد خشينا على هذا الشيخ إن حدث بهذا الغلام حدث، وشاء الله فمات هذا الغلام فخرج عمر في جنازته، وما أبدي رجل سرورًا إلا ابن عمر، فقيل: ما هذا؟ قد خشينا عليك يا بن عمر قال: إنما تلك كانت رحمة به، فلما وقع أمر الله رضينا به.

لا تعجبوا ولا تدهشوا، إنه ابن عمر بن الخطاب والفرع للأصل ينسب - رضي الله عن الجميع- الذي قال يومًا ما: ما من أهل ولا مال ولا ولد إلا وأنا أحب أن أقول عليه إنا لله وإنا إليه راجعون إلا عبد الله بن عمر فإني أرجو أن يطول في عمره.

وذلك لعلمه بمنفعته للناس والأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى.

١٢- **يقول أبو علي-رحمه الله-:**" صحبت الفضل بن عياض-رحمه الله- ثلاثين سنة ما رأيته ضاحكًا ولا متبسمًا إلا يوم مات ولده، فقلت: ما هذا؟ قال: إن الله سبحانه أحب امرًا فأحببت أن أحب ما أحب الله، وإنا إليه راجعون ". (أخرجه ابن أبي الدنيا في الرضا عن الله، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١٠٠/٨)

١٣- **وضحك أحد السلف يوم مات ابنه فقيل:**" أتضحك في مثل هذا الحال؟ قال: نعم، أردت أن أرغم الشيطان وقضي الله القضاء، فأحب أن أرضي بقضائه فهو أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين ".

١٤- **ويروي أن شريحًا القاضي-رحمه الله-** مات له صبي فجهزه وغسله ودفنه بالليل ولم يشعر به أحد ولما جلس للقضاء من غد جاء الناس على حسب العادة يعودونه ويسألونه عنه فقال:" الحمد لله الآن فقد الأنين والوجع، ففرح الناس وظنوا أنه قد عُوفي من مرضه.، فقال وهو يضحك: احتسبناه في جنب الله، وإنا لله وإنا إليه راجعون ".

١٥- **ويروي الإمام أحمد في الزهد عن زياد بن أبي حسان أنه شهد عمر بن عبد العزيز-رحمه الله-** حين دفن عبد الملك، قد استوي قائمًا عند القبر وأحاط به الناس فقال: والله يا بني، لقد كنت بارًّا بأبيك، والله ما زلت مسرورًا بك مذ وهبك الله لي إلى أن استودعك الله في المنزل الذي صيرك الله إليه، فرحمك الله وغفر ذنبك وجزاك بأحسن عملك، ورحم كل شافع يشفع لك بخير شاهد أو غائب، رضينا بقضاء الله وسلمنا لأمر الله والحمد لله رب العالمين، وإنا لله وإنا إليه راجعون، ثم انصرف ورجع إلى مجلسه. وكان قبل وفاة عبد الملك قد هلك أخوه سهل وهو من أحب إخوته، وهلك مولاه مزاحم وهو عزيز عليه، كل ذلك في أوقات متتابعة، فلما استوى في مجلسه جاء الربيع بن ثبرة – عليه رحمة الله – فقال: عظم الله أجرك يا أمير المؤمنين، ما رأيت أحدًا أصيب بأعظم من مصيبتك، مثل ابنك ابنًا، ولا مثل أخيك أخًا، ولا مثل مولاك مولى قط. فطأطأ رأسه عمر– رحمه الله–، فقال أحد الحاضرين: لقد هيجت عليه، فقال: كيف قلت يا ربيع؟ أعد، قال: فأعدت عليه، فقال: لا والذي قضي عليهم الموت ما أحب أن شيئًا كان من ذلك لم يكن.

فيا أيها الكون منه استمع ويا أذن الدهر عنه افهمي

أيها الأحبة، لا زلنا في رياض الراضين بالقضاء، نعيش لنعتبر ونتعظ ونسلو ونرضى.

١٦- ذكر ابن الجوزي -رحمه الله- في عيون الحكايات عن الأصمعي -رحمه الله- أنه قال:

" خرجت أنا وصديق لي إلى البادية فضللنا الطريق فإذا نحن بخيمة عن يمين الطريق فقصدنا نحوها فسلمنا فإذا عجوز ترد السلام ثم قالت: من أنتم؟، قلنا: قوم ضللنا الطريق وأنسنا بكم وقوم جياع. فقالت: ولوا وجوهكم حتى أقضي من حقكم ما أنتم له أهل. ففعلنا وجلسنا على فراشٍ ألقته لنا وإذا ببعير مقبل عليه راكب وإذا بها تقول: أسأل الله بركة المقبل، أما البعير فبعير ولدي وأما راكبه فليس بولدي. وجاء الراكب فقال: السلام عليك يا أم عقيل، أعظم الله أجرك في عقيل، فقالت: ويحك، أو قد مات عقيل؟، قال: نعم.. قالت: ما سبب موته؟ قال: ازدحمت عليه الإبل فرمت به في البئر. فقالت له: انزل. ودفعت له كبشًا ونحن مندهشون، فذبحه وأصلحه وقرب إلينا الطعام فجعلنا نتعجب من صبرها فلما فرغنا قالت: هل فيكم أحد يحسن من كتاب الله عز وجل شيئًا؟، قلنا: نعم.. قالت: فاقرؤوا علي آياتٍ أتعزي بها عن ابني. فقرأت قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة:١٥٥-١٥٧) قالت: ءآلله إنها لفي كتاب الله؟ قلت: والله إنها لفي كتاب الله. قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، صبرًا جميلًا وعند الله أحتسب عقيلًا اللهم إني فعلت ما أمرتني به فأنجز لي ما وعدتني، ولو بقي أحد لأحد لبقي محمدﷺ لأمته. قال: فخرجنا ونحن نقول: ما أكمل منها ولا أجزل"

لما علمت أن الموت لا دافع له ولا محيص عنه، وإن الجزع لا يجدي نفعًا وأن البكاء لا يرد هالكًا، رجعت إلى الصبر الجميل والرضا بقضاء السميع.

١٧- وقال أبو العباس سعيد السراج -رحمه الله-:

" مات أبو الحسن بن عبد العزيز (الجردي)، فدخلت على أمه فقلت لها: اتقي الله واصبري تعزي، فقالت: مصيبتي أعظم من أن أفسدها بالجزع ". (شعب الإيمان للبيهقي ٢٥٠/٧)

والجزع وإن بلغ غايته فأخر أمر الجازع إلى الصبر اضطرارًا وهو غير محمود ولا مثاب، فإنه استسلم للقدر رغم أنفه وهذا ليس من الصبر.

١٨- يذكر أن أعرابيًّا مات له ولد فبكي عليه بكاءً عظيمًا وجزع عليه جزعًا شديدًا فلما هم أن يسلو عن هذا مات له ابن آخر فقال:

إن أفق من حزنٍ هاج حزن ... ففؤادي ما له اليوم سكن

فكما تبلي وجوه في الثري ... فكذا يبلي عليهن الحزن

فطوبي للصابرين ثم طوبي ثم طوبي.

١٩- وأخرج الإمام أحمد في" كتابه الزهد" أن رجاء بن أبي سلمة -*رحمه الله*- قال:

" لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز كتب عمر بن عبد العزيز-رحمه الله- إلى الأمصار ينهى أن يُناح عليه، وكتب: إن الله – عز وجل – قبضه وأعوذ بالله أن أخالف محبته ".

٢٠- وأخرج ابن أبي الدنيا في الاعتبار عن الكندي قال:" كانت امرأة من بني عامر لها تسعة من الأولاد، دخلت بهم يومًا غارًا ثم خرجت لحاجة لها وتركتهم في الغار ولما رجعت سقط الغار عليهم وانطبق فجعلت تسمع أنينهم وتتلظي بجحيم عويلهم، لا تملك لهم حولًا ولا طولًا، تئن وتزفر زفرات قطعت أحشاءها، حتى فقدت أنينهم فلم تسمع لهم أنينًا فعلمت أنهم ماتوا جميعًا تحت الغار، فرجعت وبها من الأسى ما الله به عليم، فكانت تردد وتقول:

ربيتهم تسعة حتى إذا اتسقوا أفردت منهم كقرن الأعضب الوحد

وكل أم وإن سرت بما ولدت يومًا ستفقد من ربت من الولد

٢١- ويقول الشيخ علي القرني- حفظه الله- في محاضرة بعنوان" كشف الكربة عند فقد الأحبة ":

" حدثني من أثق به من الصالحين كما أحسبه والله حسيبه، أنه كان هناك رجل له ثلاثة أولاد صغار وزوجة في هناء وسعادة وأمان وسكينة واطمئنان، وذات يوم جاءهم أضياف فقام الأب وذبح لهم كبشًا والأولاد ينظرون، ودخل للجلوس مع أضيافة بانتظار الطعام وقامت الأم بتغسيل أصغرهم في وعاء كبير مليء بالماء، فأخذ أكبرهم السكين يقلد أباه في ذبح الشاة، وقام على أخيه الأوسط فأضجعه ثم ذبحه ذبح الشياه، وجاء لأمه يخبرها فصاحت ورمت بالصغير في وعاء الماء فغرق الصغير في الوعاء، ثم خرجت للأوسط وهو يتشحط في دمه، وهرب أكبرهم للشارع اعترضته سيارة فدهسته، ذهلت الأم وثكلت جميع أبنائها، فجاء الأب فإذا بها تترنح وتخبره الخبر ثم تسقط ميتة وجدًا على أبنائها الثلاثة، وإنا لله وإنا إليه راجعون

صُبت عليها مصائب لو أنها صُبت على الأيام عُدن لياليا

أما الأب فحمد الله واسترجع، ثم دخل إلي أضيافه وطلب منهم أن يحفروا قبورًا، وأخبرهم الخبر فياله من خبر ويالها من ضيافة! حفروا القبور وصلوا على الجميع ودعوا للميت والحي، واستعد كل منهم أن يقدم ابنته زوجة لهذا الرجل الصابر فاختار ابنة أحدهم فتزوجها، ويذكر من نقل هذا أن له ثلاثة عشر ولدًا من هذه الزوجة "

وأخيراً: عزاء لمن فقد الأعزّاء، كلمات تخفف عن المصاب ألم الفراق عند فقد الأولاد:

هناك من الكلام ما يكون بردًا وسلامًا ينزل على قلب المصاب بفقد الأولاد فيكون كالماء البارد الذي يطفئ لهيب هذا القلب المحترق فيطمئن ويهدأ ويسلم بقضاء الله وقدره:

١- ومن خير كلمات التعزية ما ورد عن خير البرية:

ففي الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن أسامة بن زيد -رضي الله عنهما- قال: **" أرسلت ابنة النبي ﷺ أن ابنًا لي قد قُبض فأْتِنا، فأرسل يُقرئ السلام ويقول: إنَّ لله ما أخذ، وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمي فلتصبر ولتحتسب ".**

- **إنَّ لله ما أخذ:** يعني أن العالم كله ملك لله تعالى، فلم يأخذ ما هو ملك لكم، بل أخذ الشيء الذي هو له عندكم.

- **وله ما أعطى:** أي ما وهبه الله تعالى لكم ليس خارجًا عن ملكه بل هو سبحانه فيه ما يشاء.

- **وكل شيء عنده إلى أجل مسمى:** أي من مات وقبض من الأحبة فقد انتهي أجله المسمى فلا يمكن أن يتقدم أو يتأخر عنه. **كما قال تعالى:** ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (النحل: ٦١)

فهنا يعلم المصاب بفقد الأحباب أن هذا مقرر ومسطور في كتاب **كما قال تعالى:**

﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحديد: ٢٢)

٢- وروي أن سليمان بن عبد الملك لما مات ابنه أيوب قال لعمر بن عبد العزيز ورجاء:

إني لأجد في كبدي جمرة لا يطفئها إلا عبرة. فقال عمر بن عبد العزيز: اذكر الله يا أمير المؤمنين وعليك بالصبر فهو أقرب وسيلة إلي الله، وليس الجزع بمحي من مات وبالله العصمة فلا تحبطن أجرك، قال فنظر إلي رجاء. فقال رجاء: اقضها يا أمير المؤمنين فما بذاك من بأس فقد دمعت عينا رسول الله ﷺ على إبراهيم ولم يقل ما يسخط ربه، فأرسل سليمان عينيه بالبكاء حتى ظنوا أن نياط قلبه ستتقطع. فقال عمر لرجاء معاتبًا: هذا ما فعلت بأمير المؤمنين. فقال: دعه يا عمر يقضي من بكائه وطرًا، فلو لم يخرج من صدره ما ترى لخفت عليه. ثم دعا بماء وغسل وجهه ثم قال لهما: لو لم أنزف هذه العبرة لانصدعت كبدي، ثم انتهى إلى مجلسه، فدخل عليه رجل فعزاه فقال: عليكم نزل الكتاب وأنتم أعرف به منا، وأنتم أعلم برسول الله ﷺ منا، ولسنا نعلمك شيئًا لا تعلمه ولا نذكرك شيئًا قد تنساه لكن نعزيك ونواسيك ثم أنشد:

وهون ما ألقى من الوجد أنني أجاوره في قبره اليوم أو غدًا

قال: أعد، فأعاد فقال: يا غلام هات الغداء، فأكل وشرب وحمد الله وسري عنه.

٣- وروى البيهقي والحاكم في مناقب الإمام الشافعي-رحمه الله -:

أن عبد الرحمن بن مهدي مات له ابن فجزع عليه جزعًا شديدًا فبعث إليه الشافعي يقول له:

" يا أخي عز نفسك بما تعزي به غيرك، واستقبح من فعلك ما تستقبحه من غيرك، واعلم أن أعظم المصائب فقد سرور وحرمان أجر، فكيف إذا اجتمعا مع اكتساب وزر؟ ألهمك الله عند المصائب صبرًا، وأحرز لنا ولك بالصبر أجرًا، ثم أنشد قائلًا:

إني معزيك لا إني على ثقة من الحياة ولكن سنة الدين
فلا المعزي بباقٍ بعد ميته ولا المُعزى ولو عاشا إلى حين

ويشاء الله ﷻ فيموت بعدها ابن للشافعي - رحمه الله تعالى -

الذي كان يعزي أصبح يُعزي، جاءوا يعزونه **فأنشد قائلًا:**

وما الدهر إلا هكذا فاصطبر له رزية مال أو فراق حبيب

٤- ولما توفيت ياقوتة بنت المهدي جزع عليها جزعًا لم يسمع بمثله.

فجلس وجاء الناس يعزونه فأمر ألا يحجب منه أحد، فأكثر الناس في التعازي واجتهدوا في البلاغة والفصاحة لكونه الخليفة، ثم أجمعوا بعد ذلك أنهم لم يروا تعزية أبلغ ولا أوجز من تعزية ابن شبة-رحمه الله - يوم قال: أعطاك الله يا أمير المؤمنين على ما رزئت أجرًا وأعقبك خيرًا ولا أجهد بلاءك بنقمة ولا نزع منك نعمة، ثواب الله خير لك منها، ورحمة الله خير لها منك، أسأل الله ألا يحزنك ولا يفتنك، فكان مما سرى على أمير المؤمنين مثل هذه التعزية.

٥- ومن لطيف التعزية ما قيل من بعض الأعراب:

عندما دخل على بعض ملوك بني العباس وقد توفي له ولد اسمه العباس فعزاه ثم قال:

اصبرنكن بك صابرين فإنما صبر الرعية عند صبر الرأس
خير من العباس أجرك بعده والله خير منك للعباس

٦- ومن ذلك أن أحدهم أصيب بمصيبة فجزع فجاء أخ له فقال:

عظم الله أجرك وأحسن الله عزاءك ثم أنشد:

أخي ما بال قلبك ليس ينقى كأنَّك لا تظن الموت حقا؟
ألا يا بن الذين مضوا وبادوا أما والله ما ذهبوا لتبقى

فكشف ما به.

٧- وروي الحافظ ابن عساكر -رحمه الله-:

أنه لما مات لرجل من السلف ولد، فعزاه سفيان بن عيينة- رحمه الله – ومسلم بن خالد وآخرون، وهو في حزن شديد، وعزاه آخرون فلم يكشف ما به، حتى جاء الفضيل فقال: يا هذا، أرأيت لو كنت وابنك في سجن فأفرج عن ابنك قبلك أوما كنت تفرح؟ قال: بلى.

قال: فإن ابنك قد خرج من سجن الدنيا قبلك. قال: فسري عن الرجل وانكشف همه وقال: تعزيت.

٨- ومن ألطف وأقوى ما سمعت تعزية من غير كلام رسول البرية ﷺ وسلف الأمة-رضوان الله عليهم- ما قاله ابن سناء الملك وقد مات لأحد أقاربه ميت، فجزع عليه جزعًا شديدًا فكان مما قاله ابن سناء:" إنا لله، إلى متي هذا الجزع الصبياني والهلع النسواني؟ إلى متى هذا الحزن الذي لا يحيي دفينك بل يميت دينك ويسلب هدوءك ويشمت فيك عدوك، أما على هذا مضى الزمان؟ وعلى هذا درج الثقلان، وللخراب بني العمران، وللانتقال سكن السكان، وللموت ولد المولود، وللعدم خلق الوجود، أتحب أن تبقي ويبقى من تحب؟ فذا خلود ".

٩- وكتب محمد بن السماك إلي هارون الرشيد-رحمه الله- يعزيه بولد له فقال:

" أما بعد: فإن استطعت أن يكون شكرك لله -عز وجل- حيث قبضه كشكرك له حيث وهبه لك، فافعل، فإنه حيث قبضه أحرز لك هيبته، ولو بقي لم نسلم من فتنته أرأيت جزعك على ذهابه، وتلهفك على فراقه، أرضيت الدار لنفسك فترضاها لابنك؟ أما هو فقد خلص من الكدر وبقيت متعلقًا بالحظر والسلام ".

(شعب الإيمان للبيهقي ٢٤٧/٧)

١٠- وكتب ابن السماك أيضًا إلى رجل يعزيه فقال له:

" إن من تمام الشكر على العافية، والصبر على الرزية، ومن قدَّم وجد، ومن أخّر فقد ".

١١- وأنشد بعضهم يقول:

وما يغني التأوه إذ تولى وهل ما فات مرتجع

فإقرارًا وتسليمًا وصبرًا على ما كان من قدر الإله

١٢- قال يحيي بن معاذ- رحمه الله -:

" ابن آدم مالك تأسف على مفقود لا يرده عليك الفوت؟ ومالك تفرح بموجود لا يتركه في يديك الموت؟".

١٣- قال العُتبي- رحمه الله -:

" عزى أبي رجلًا فقال: إنما يستوجب على الله وعده من صبر لحقه، فلا تجمع إلى ما فجعت به الفجيعة بالأجر، فإنها أعظم المصيبتين عليك، ولكل اجتماع فرقة إلي دار الخلود ".

١٤- وقال أبو يعقوب الخزيمي يرثي ابنًا له في قصيدة:

فــلولا رجــاء الأجـر فيك وأنـه ثواب وإن عز المصاب عظيم
وإنك قــربان لــدي الله نــافــع وحظ لنـا يـوم الحساب جسيم
لأضعف حُزني يا بني وأوشكت على البــواكي بــالرنين تقـوم

١٥- وعَزَّي إسماعيل بن هارون رجلًا في ابنه فقال:

" والله لمصيبة في غيرك لك أجرها، خير من مصيبةٍ فيك لغيرك ثوابها ".

١٦- ومات لأبي الأحوص (سلام بن سليم الحنفي) ابن صغير، فأتاه سفيان الثوري وزائدة (ابن قدامة) يعزيانه، فقال له سفيان بعدما عزاه:" إن الله سبحانه أنعم عليك به – يعني الولد– إن وهبه ما شاء أن يهب، ثم أنعم عليك أن قبضه إليه، فكان مدخورًا لك عنده فلا تعد نعمته عليك مصيبة، فكأنك قد لحقت به فسرك تقدمه إياك ".

١٧- وقال محمد بن كُنَاسة-رحمه الله-:

" كتب رجل إلى أخيه يعزيه بابنه فقال: أمَّا بعد...، فإن الله – عز وجل – وهب لك موهبة، جعل عليك رزقه ومؤنته، وأنت تخشي فتنته، فاشتد لذلك، فلما قبض الله سبحانه موهبته وكفاك مؤنته يعني وأمنك فتنته اشتد لذلك حزنك، أقسم بالله، لو كنت تقيًا تعزيت على ما هُنيت عليه، ولهُنيت على ما عُزيت عليه، فإذا أتاك كتابي هذا، فأصبر نفسك عن الأمر الذي لا غني بك عن ثوابه، واعلم أن مصيبته وإن عظمت، إن لم يُذهب فرح ثوابها حزنها فذلك الحزن الدائم ".

١٨- وأنشد بعضهم:

وإذا يُصبكَ مصيبةٌ فاصبر لها عظمَتْ بليةُ مُبْتَلَي لا يـصبر

١٩- وأنشد آخر فقال:

وعوضت أجرًا من فقيد فلا يكن فقيدك لا يأتي وأجرك ذاهب

٢٠- وعزي موسي بن المهدي-رحمه الله- سلمان بن أبي جعفر في ابن له مات فقال:

" أيسرك وهو بلية وفتنة؟ ويحزنك وهو صلاة ورحمة وهدى؟ **يشير إلى قول الله تعالى:** ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (الأنفال: ٢٨)

ويشير بالثانية إلى قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة:١٥٧)

(العقد الفريد (٤٥٦/٢)، والأذكار للنووي (١٤٨/٩)

فللـه مـا أعطى ولله ما حـوى ... وليس لأيـام الـرزيـة كالصبر

فحسبك منهم موحشًا فقد برهم ... وحسبك منهم مسليًا طلب الأجر

وفي الختام فهذه تسلية وتسرية لزفرات كل مكلوم أصيب بفقد الولد عسى أن تكون بردًا لكبده وراحة لفؤاده.. والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة

وأسأل الله- تعالى- أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي.

وإن وجدت العيب فسد الخللا ... جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى- أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك